حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠٢٠)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

أحاديث حق الجار
دراسة بلاغية تحليلية

جواهر زعبي محمد الزهراني*

قسم اللغة العربية

المستخلص

الحديث النبوي نبض يفيض بياناً، وبلاغة، وفصاحة، وتوجيهاً، وتربية للنفوس، وللعقول، وهو الهادي بعد القرآن الكريم إلى الخير، والصلاح، وقد كانت عناية هذا البحث بما جاء عنه ﷺ من أقوال تتصل بحق الجار في كتاب الإيمان من صحيح مسلم، والمنهج الذي سار عليه هذا البحث جمع بين المنهج الاستقرائي، والتحليلي البلاغي، لتتمكن الدراسة من خلال جمع الروايات المتعددة من النظر في أساليبها، وطريقة تراكيبها، وبناء جملها، وسياقاتها، والإفادة من ذلك في الكشف عن الإضاءات البيانية، واللطائف البلاغية، التي نعمت بها أقواله ﷺ في مبناها، ومعناها. فقد كان لكل قول نبوي أسلوب خاص به من حيث إفادة المخاطب، والعناية به وبكيفية تلقيه الخبر وهذا ما نجده جلياً واضحاً في ذخائر ألفاظه ﷺ ، وفي تسلسل أفكاره، وبناء معانيه، وفي مناسبة اللفظ لمعناه، وفي تعدد روايات الحديث الواحد والتي تتناولها البلاغة بما يسمى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن لكل مقام مقال وهذه النية البلاغية هي بنية أساس في البيان النبوي لأنه ﷺ { بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١٢٨].

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

مشكلة الدراسة :

تتناول الدراسة موضوع أهمية حق الجار، وما جاء من أقوال الرسول ﷺ في بيان حقه، وأهميته، وأثره في نقص الإيمان، وبيان عظيم ثواب القيام بهذا الحق في الدنيا، وفي الآخرة وبيان أثره في بناء العلاقات الفردية، والجماعية. وبيان بلاغة الحديث النبوي في لفظه، ومعناه، وفي سياقه، وخطابه.

أهداف الدراسة :

١- بيان حق الجار في الحديث النبوي .

٢- بيان تنوع الأساليب الوارد بها قول الرسول ﷺ في العناية بحق الجار، وما لهذا التنوع من أثر في أداء المعنى في النفوس، وفي العقول .

٣- الوقوف على المعاني الخبيئة، والدرر البيانية في طريقة إلقائه ﷺ الخبر، وعنايته بالمخاطب.

٤- بيان أهمية تعدد طرق إلقاء الخبر، وتنوع أساليبها، واختلاف سياقاتها.

٥- النظر إلى أهمية المعنى في اللغة، وارتباطه بالسياق والكشف عن كيفية إيحائه، وبدائعه التي يملأ بها النص في لفظه، ومعناه.

٦- الجمع بين تعدد الروايات التي تتحدث عن نفس المعنى وإنما جاءت سياقاتها وطريقة بنائها متباينة، وبيان فائدة ذلك التباين، والاختلاف وأثره في أداء المعنى .

المقدمة

الحديث النبوي هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وكلامه ﷺ إنما هو (وحي يوحى)، وقد جاءت سنته ﷺ شارحة، ومفصلة، ومبينة لما في القرآن الكريم، والقرآن الكريم، والسنة النبوية، هما عماد الدين ومنهما تستمد الأحكام، والقواعد التنظيمية لحياة المجتمع، واستقراره، ومما جاء من توجيهه ﷺ كان العناية بحق الجار، والوصية به، وهذه الركيزة التي اهتم بها ﷺ هي لبنة مهمة في بناء المجتمع، وعليها يقوم جزء كبير من استقراره، وأمانهُ وإذا استقر المجتمع وساده الأمن كان له أن يتقدم في شؤونه، ويرتقي في عطاءاته في شتى المجالات .

وعنايته ﷺ بالجار ما هي إلا امتداد لعناية القرآن الكريم بالجار، والوصية به، وهذا الكمال هو من عظمة هذا الدين القويم، الذي ارتضاه الله تعالى وختم به الأديان .

قال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا } [المائدة:٣].

وقال تعالى : {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِين} [آل عمران:٨٥].

ولما كان البيان القرآني الكريم قد جرى بلسان الرسول محمد ﷺ فقد ظهر أثره في ارتقاء البيان المحمدي وتفوقه، وإحكام بنائه، وكانت أحاديثه ﷺ في ألفاظها، ومعانيها، تركيباً بلاغياً يفيض توجيهاً، وبناءً للنفوس، وللعقول في مختلف العصور. ولأهمية العلاقة بالجار وأثرها فقد اجتمعت آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ على وجوب صيانة حقوقه، ورعايتها. وقد جاء بيانه ﷺ ينابيع من حسن الصياغة، وجودة السبك، ودقة البناء، ولطافة المعنى، فكانت أقواله ﷺ إشراقات في عالم البيان، وبلاغته، وإيحاءات ألفاظه، وقوة معانيه. وقد جاء البحث متمثلاً في : المقدمة، مشكلة الدراسة، أهداف الدراسة ودراسة الأحاديث وتحليلها ثم النتائج والتوصيات ثم الخلاصة أو الخاتمة ثم المراجع العلمية والفهارس .

قال ﷺ : (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) [١].

جاء في البيان النبوي قوله ﷺ : (لا يدخل الجنة) وفي هذه الجملة تقدم النفي عناية، واهتماماً، وإثارة للتساؤل، والتنبيه إلى أهمية المعنى الآتي، وأنه بمكان الصدارة في البناء اللغوي، وفي المعنى المراد بيانه، وفي مجيء الفعل (يدخل) زيادة اهتمام، فهو بمادته اللغوية يدل على الدخول، وجاء فيه (دخل: الدخول: نقيض الخروج، دخل يدخلُ دُخُولاً وتدخَّل ودَخَل به وداخل كل شيء: باطنه الداخل . قال سيبويه : وهو من الظروف التي لا تستعمل إلا بالحرف يعني أنه لا يكون إلا اسماً لأنه مختص كاليد والرجل)[٢]. وزيادة الاهتمام لم تأت من ذات الفعل؛ وإنما من المكان الذي ارتبط به وهو (الجنة) وهو المكان الذي من أجله يتنافس المتنافسون؛ فكان من عظمته أن اكتسب الفعل مزية تجعل السامع يتشوق، ويهتم ويحرص، على معرفة الإجابة على التساؤل الذي أثاره وجود نفي الدخول إلى الجنة، والتقدير (مَنْ الذي لا يدخل الجنة) أو (مَنْ هو الذي لا يدخل الجنة)، (لأن النفس تتطلع عند وقوع النفي إلى معرفة أسبابه، وتشغل بالبحث عنه في مضمون الجملة التي وقع فيها النفي)، وهذا من شأنه تأكيد المعنى، وتمكينه؛ فقد نبه ﷺ إلى عظم تلك الخصلة التي تحرم من اتصف بها، وتحول بينه، وبين دخول الجنة أنه يريد أن يتمكن جزاء هذا الفعل في نفوس المخاطبين؛ فيحذرون منه ويتجنبونه) [٣]. وفي قوله ﷺ (مَنْ لا يأمن) جاءت مَنْ موصولة بمعنى (الذي) وهي فاعل الفعل يدخل المسبوق بالنفي، وقد تقدم المفعول به (الجنة) لأهمية المتقدم، وترتب ما بعده عليه. قال تعالى : { إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون} [البقرة:١٧٢] (قدم المفعول لأنه أراد سبحانه إن كنتم تخصوه بالعبادة، فلا تتجه قلوبكم إلا

إليه، ولا تنحني أصلابكم إلا في حضرته)[٤] وفي البيان النبوي تقدم المفعول به الجنة لأنه ﷺ أراد أن يبين عظيم حق الجار، وأن المؤمن الذي: يأمن منه جاره يدخل الجنة. فالجنة هي الجزاء الأبدي الذي فيه النعيم المقيم للمؤمنين، والمسلمون جميعاً ينشدونها ويحرصون على كل عمل، وقول يقرب منها، ويكون سبباً لدخولها . وقد اجتمع إيحاء معنى الظرفية المكانية في الفعل (يدخل)، وفي لفظ (الجنة) لذلك لم يأت في التركيب حرف الجر (في) مثلاً على تقدير (لا يدخل في الجنة). وقد كان (من الأسس التي بني عليها ترتيب المتعلقات أنهم يقدمون منها ما هو أوثق صلة بغرض الكلام وسياقه .انظر إلى قوله – تعالى - : { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ } [الأنعام:١٥١] ، وقوله في آية أخرى {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم } [الإسراء:٣١]. قال في الأولى : نرزقكم وإياهم، فقدم ضمير المخاطبين على الأولاد، وقال في الثانية: نحن نرزقهم وإياكم فقدم ضمير الأولاد على المخاطبين، وذلك لأن الخطاب في الأولى للفقراء بدليل قوله من إملاق، المفيد أنهم في إملاق فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم؛ لأنهم في حاجة إليه الآن، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل قوله خشية إملاق؛ فإن الخشية إنما تكون من أمر لم يقع فكان رزق أولادهم في هذا السياق هو المطلوب دون رزقهم؛ لأنه حاصل فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم، وهذا من غاية الدقة كما ترى)[٥].

وجاء قوله ﷺ (من لا يأمن جاره بوائقه) وفيه أن مَنْ الموصولة قد تقع مبتدأ، وخبره الجملة المتقدمة (لا يدخل الجنة) وجملة (لا يأمن جاره بوائقه) صلة الموصول. أو تكون مَنْ الموصولة فاعلاً للفعل يدخل. وعلى التقدير الأول أنها مبتدأ يكون في التركيب تقديم وتأخير فقد تقدم الخبر في قوله ﷺ : (لا يدخل الجنة) على المبتدأ وهو (من) الموصولة (وتقديم المسند يكون لتخصيصه بالمسند إليه، يعني لقصر المسند إليه عليه، فإذا قلت: قائم زيد صح أن يفيد قصر زيد على القيام ويكون المعنى ما زيد إلا قائم. ومنه قوله تعالى : {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا }[الأنبياء:٩٧] فإنما قدم المسند – شاخصة – ولم يقل فإذا هي أبصار الذين كفروا شاخصة؛ لأنه إذا قدم الخبر أفاد أن الأبصار مختصة بالشخوص من بين سائر صفاتها من كونها جائرة أو مطموسة أو مُزوَّرة إلى غير ذلك من صفات العذاب أي ليست إلا شاخصة، ولو قال: واقترب الوعد الحق فشخصت أبصارهم لما أفاد شيئاً من هذه الصورة) [٦] (وتقديم المعمول من المفعول به وشبهه إذا تقدمه نفي فظاهر كلام عبدالقاهر ومن تبعه أنه يدل على الاختصاص قطعاً) [٧] . وجاء لفظ (يأمن) بإيحاءاته الأمنية من الأمن، والإيمان، والأمان، مسبوقاً بالنفي ليكون مقابلاً للفعل المنفي في التركيب السابق (لا يدخل) فنفي الدخول في الجنة قائمٌ لوجود نفي الأمان للجار .

ولفظ بوائقه جاء فيه (البوائق: جمع بائقة، وهي الداهية التي توبق صاحبها، أي: تهلكه)[٨] (وهي: الأمر الشديد الذي يوافي بغتة) قال أبو عبيدة في قوله تعالى {أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا } [الشورى:٣٤]، قال : يهلكهن. وقال في قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا} [الكهف:٥٢]أي متوعداً. وعن ابن عباس في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا} أي مهلكاً[٩]. والبوائق جاءت بصيغة الجمع وفي هذا زيادة في بيان تنوع الإيذاء وتعدده. وقد وردت هذه الكلمة في غريب الحديث في مادة (بوق) وجاء فيها (حديث المغيرة: ينام عن الحقائق ويستيقظ للبوائق) [١٠].

وفي رواية البخاري جاء في الحديث النبوي لفظ بوائق في سياق القسم، والتكرار (قال ﷺ : والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: وَمَنْ يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه) [١١] وفيه تكرار الحلف ثلاثاً؛ لتأكيد أهمية المعنى الآتي، والتنبيه إليه

.(ومن سنن العرب التكرير، والإعادة، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر، كما قال الحارث بن عباد :

قرِّبا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

فكرر قوله (قربا مربط النعامة مني) في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر، وأراد الإبلاغ في التنبيه، والتحذير، وكتكرير من كرر :

مهلاً بني عمنا، مهلا موالينا

وكقول الآخر:

كم نعمة كانت له كم كم وكم

فكرر لفظ "كم" لفرط العناية بقصد تكثير العدد. قال علماؤنا: فعلى هذه السنة جاء ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله : {فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [١٢]. (وقد استعمله النبي ﷺ لأنه إنما يتكلم بلغتهم وعلى مذاهبهم في الكلام ومن مذاهبهم في التكرار إرادة التوكيد، والإفهام كما أشار ابن قتيبة وغيره، وكان عادة معروفة عنه ﷺ فقد أشار أنس بن مالك ﷺ إلى هذا عندما وصف منطق رسول الله ﷺ؛ فقال: (كان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، وإذا سلَّم سلَّم ثلاثاً)[١٣].

وجاء في فائدة التكرير في قوله تعالى{فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن:١٦] (وفائدة التكرير توكيد التقرير بما لله تعالى من نعم على المخاطبين، وتعريض بتوبيخهم على إشراكهم بالله أصناماً لا نعمة لها على أحد، وقال الحسين بن الفضل: التكرير طرد للغفلة، وتأكيد للحجة، وقال الشريف المرتضى في مجالسه وآماله المسمى "الدرر والغرر": وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم، قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً:

على أن ليس عدلاً من كليب إذا طرد اليتيم عن الجزور

وذكر المصراع الأول ثماني مرات في أوائل أبيات متتابعة)[١٤].

والقسم (من طرق التشويق إلى المعنى في الحديث الشريف، وتهيئة المخاطب لتلقيه ليتأكد لديه، ويثبت في قلبه، ويقر في وجدانه، إذ نجده يتقدم الأمور المهمة التي يحرص ﷺ على تأكيدها، وتثبيتها في وجدان المخاطبين؛ لأن القسم يلفت السامع، ويجذب انتباهه، ويثير وجدانه؛ فيصبح في شوق إلى الإحاطة بالجواب، وإدراك المعنى الذي أقسمﷺ من أجله) [١٥]. الذي أقسم ﷺ (والقسم يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى، فالجملة المؤكَّدة هي المقسم عليه الجملة المؤكِّدة هي السم، والاسم الذي يدخله حرف القسم هو المقسم به. والقسم ضرب من ضروب التوكيد في الجملة العربية، يقول سيبويه: اعلم أن القسم توكيد لكلامك) [١٦].

وقد بدأ ﷺ الحديث بالقسم المثير للتساؤل الذي ورد في قول الصحابة رضي الله عنهم (ومَنْ يا رسول الله) وهذا نوع من أنواع الحوار (فقد سلك ﷺ في الحديث الشريف طرائق متعددة ومتنوعة من الحوار بحسب طبيعة الموقف، ومقتضيات السياق، ومراعاة حال المخاطبين)[١٧] . وقد جاء لفظ بوائقه ولم يأت مثلاً قول من لا يأمنه جاره لأن هذا اللفظ يقدم ثراء للمعنى وإيحاء من حيث الدلالة على أنواع متعددة من إيذاء الجار، ومن حيث بيان عظمها، وخطرها، وقد وردت هذه الكلمة في غريب الحديث، وغرابتها متلائمة مع السياق في هذا البيان النبوي . فقد جاء نفي دخول الجنة، وهذا النفي له شأن عظيم في نفوس المسلمين؛ لمكان الجنة عندهم؛ فهي ما ينشدون؛ فالعظمة في نفي الدخول للجنة، يقابلها عظمة المعنى في كلمة بوائق.

وفي رواية جاء قوله ﷺ (مَنْ كان يؤمن بالله، واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، وفي رواية (مَنْ كان يؤمن بالله، واليوم الآخر فليكرم جاره)[١٨] وفي هاتين الروايتين نجد أسلوب

الشرط المكون من (جملة فيها حرف شرط، له شرط وجزاء، وهي عبارة عن جملتين ربط بينهما حرف الشرط، ومعنى الشرط، فالجملة الثانية جزاء الأولى، أو جوابها، فهي متممة للمعنى، وهي بمنزلة الخبر من المبتدأ، والجواب جزاء الشرط،وتمام معناه،وهما معاً بمنزلة جملة واحدة تامة)[١٩].

(وقد تصدر الأسلوب باسم الشرط (مَنْ) وهو أعدل الكلام كما أشار المبرد، ويفيد اسم الشرط (مَنْ) في الحديث معنى العموم، فهو موجه إلى جميع المسلمين ذكراً كان، أو أنثى؛ لأن (مَنْ) اسم مبهم، أغنى بإبهامه عن ذكر ما لا يعد، ولا يحصى من الأسماء، كما يفيد الربط بين جملتي الشرط، وهو لا يستخدم إلا مع الذات العاقلة دون غيرها، فيشير إلى أن هذا الفعل مما يجدر بالعقلاء الإسراع إليه، ومما لا يطلب من سواهم)[٢٠].

ونجد في هذا التركيب أن فعل الشرط جاء فعلاً ماضياً، ناسخاً، وجاء جوابه فعلاً مضارعاً، قد اقترنت جملته بالفاء. والأفعال الماضية التي جاءت في جملة الشرط الأولى تفيد أن الإيمان قد استقر، وتمكن في تلك القلوب، أما صيغة المضارع التي جاءت في جواب الشرط؛ فهي تفيد تجدد الفعل، وتكرار حدوثه حسب الحاجة إليه، وورد فعل الشرط ماضياً، وجوابه جملة طلبية. و(هذا النمط شائع في الحديث الشريف، وقد تنوع التركيب اللغوي فيه تنوع الجواب بين فعل الأمر المباشر، والفعل المضارع المقترن بلام الأمر، والفعل المضارع المسبوق بلا الناهية. وقد اقترن جواب الشرط في كل هذه التراكيب بالفاء) [٢١] ومجيء البيان النبوي في سياق الشرط، يفيد أن تحقق الشرط وهو حصول الإيمان هو الدافع، والحافز الذي به يقوم الإنسان بالفعل إن كان مأموراً به، أو يكف عنه إن كان منهياً عنه؛ فالكرم، والإحسان وكف الأذى عن الجار، أفعال لا تأتيها إلا القلوب المطمئنة بالإيمان، العامرة بخصاله. وفي الروايات التي جاءت بأسلوب الشرط نجد قوله ﷺ (ومن كان يؤمن بالله، واليوم الآخر فليكرم جاره)[٢٢] و(من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر فلا يؤذي جاره) [٢٣] و(من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر فليحسن إلى جاره) [٢٤] هذه الروايات الثلاث جاءت بأسلوب الشرط ذاته من حيث الأداة، وفعل الشرط الماضي الناسخ واقتران جواب الشرط بالفاء؛ لكنه جاء في روايتين فعلاً مضارعاً مجزوماً بعد لام الأمر . وفي رواية جاء فعلاً مضارعاً بعد لا الناهية ولم يقع مجزوماً في رواية مسلم، وقد جاء في هذه الرواية (وأما قوله ﷺ : (فلا يؤذي جاره) فكذا وقع في الأصول؛ يؤذي بالياء في آخره، وروينا في غير مسلم فلا يؤذ بحذفها، وهما صحيحان؛ فحذفها للنهي، وإثباتها على أنه خبر يراد به النهي، فيكون أبلغ. ومنه قوله تعالى : (لا تضار والدة بولدها) على قراءة من رفع، ومنه قوله ﷺ : "لا يبيع أحدكم على بيع أخيه" [٢٥].

ومن البيان النبوي في هذه الأحاديث نجد أن الإيمان باليوم الآخر قد ارتبط بالإيمان بالله، وفي هذا تنبيه أن إكرام الجار، والإحسان إليه وعدم إيذائه، يمتد جزاؤه في اليوم الآخر، فهذه الأفعال تعقب الحسنى في الدنيا من الترابط، والأمن، والاستقرار وإذا استقر لدى الإنسان أن هناك يوماً آخِراً سيحاسب فيه على كل شيء فسيكون هذا حافزاً له للعمل الصالح، والبعد عن الشر في القول، والعمل وكأنما هذا الإيمان في تمكنه من القلب إنما هو بذرة الصلاح التي تؤتي أكلها في أفعال الإنسان، وأقواله فإذا تعهدها بالصدق، والخير صلحت، وصلح بها سائر الجسد، وارتقت بها الروح، وهذا المعنى يستحضر قول الرسول ﷺ : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [٢٦] ومن هذا نستطيع أن نلحظ أن البيان النبوي هو خطاب يستكمل لبناته من جميع أقواله ﷺ التي حرص فيها على بيان ما ينفع، وما به يقوم الصلاح، والنفع للفرد، والمجتمع معاً.

وفي رواية جاء قول الرسول ﷺ (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [٢٧]. وفي هذا البيان النبوي جاء الفعل (ما زال) و(هذا النمط هو النمط الأساس، وقد ورد في أحاديث قليلة، كان الاسم، فيها معرفاً والخبر فيها جملة فعلية) [٢٨].

ونجد أن الوصية قد تكررت وبلغت من الأهمية أن الرسول ﷺ قد ظن أن الجار سيكون له حق الإرث، وهذا يدل على عظم حق الجار في الإسلام، كما يدل على أهميته في استقرار المجتمع، وأمانه. وقد جاءت الوصية بالجار في القرآن الكريم . قال تعالى : {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا} [النساء:٣٦] ، حيث جاءت الآية بالوصية بالإحسان إلى الوالدين، وممن جاءت الوصية به في الإحسان الجار سواء كان ذا قربى أم لم يكن .

وجاء في رواية قوله ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه – أو قال – لجاره – ما يحب لنفسه) [٢٩] . وفي رواية قال ﷺ : (والذي نفسي بيده! لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال: لأخيه – ما يحب لنفسه) [٣٠] . وفي الرواية الأولى نجد تقدم نفي الإيمان وهذا يوافق روايات أخرى في قوله ﷺ : (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد). وقوله ﷺ: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن). وفي رواية تقدم نفي دخول الجنة (لا يدخل الجنة) . وفي هذا التركيب نجد أن المتقدم هو الجزاء المنفي سواء أكان في الإيمان، أم في دخول الجنة وهذا (من المحفزات السلبية المعنوية) [٣١]. وذلك التحفيز بالجزاء هو الدافع إلى الحرص على صلاح القول، والعمل، والنفي، والقسم اللذان يتقدمان البيان النبوي هما أساليب بلاغية قوية في بناء المعنى في النفوس، وفي العقول في تنبيه المخاطب ليستشعر أهمية المعنى الذي سيتحدث عنه ﷺ . وإذا كان (تقديم المحفز قبل العمل من حسن الطالع ومما ترغبه النفس، وتلذه وتستبشر به) [٣٢] فإن تقديم المحفز السلبي هنا بالنفي هو تحذير، وتقويم للفرد، وللمجتمع. فالإيمان لن ينقص إلا بسبب ما، ودخول الجنة لن يكون إلا بسبب أيضاً. وكمال الإيمان، وبلوغ الجنة هما الغاية التي من أجلها يقع الجد، والاجتهاد بين المسلمين.

وفي قوله ﷺ (لا يؤمن عبدٌ) جاء لفظ (عبد) نكرة وهذا من (النكرة المقصودة المفيدة وهي التي يزول إبهامها وشيوعها بالقصد، والإقبال كقولك يا رجل، فإنك قصدت رجلاً بعينه، وصار الاسم النكرة معرفة بالنداء، لإقباله عليك وقصدك إياه. أو بالصفة التي تقلل من شيوعها، وتخصصها كقولنا: قليل دائم خير من كثير منقطع)[٣٣]. وفي قوله ﷺ (لا يؤمن) نفي الإيمان هو نفي لكماله، وليس لأصل وجوده كما قال العلماء (معناه لا يؤمن الإيمان التام، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة) [٣٤].

وفي البيان النبوي جاءت (حتى) المفيدة للغاية والتي تقف بالنفي عند حدّ بلوغ الإنسان تلك المرتبة من محبته لجاره، ومعنى حتى هنا (حتى الجارة . ومعناها انتهاء الغاية، ومجرورها إما اسم صريح، نحو (حتى حين) أو مصدر مؤول من أن والفعل المضارع نحو (حتى يقول الرسول) لأن التقدير: حتى أن يقول) [٣٥] والتقدير في البيان النبوي أنه لا يؤمن (عبد) أو (أحدكم) حتى أن يحب لجاره ما يحب لنفسه) . وفي قولهﷺ (لا يؤمن أحدكم) جاء لفظ (أحدكم) معرفاً بالإضافة، ومن فائدة هذا التعريف بالإضافة أنه ﷺ كان يوجه خطابه للصحابة مفيداً إياهم الخبر في سياق التعليم، والبيان، والتوجيه ومما يزيد هذا بياناً أنه في الرواية الأخرى جاء الخبر ذاته وإنما اختلف السياق فقد قال ﷺ (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد) وفيه القسم ومجيء لفظ (نفسي) خاصة دون ألفاظ القسم الأخرى وبعده جاء نفي الإيمان والتنكير في لفظ (عبد) واجتماع هذه اللبنات اللغوية في بناء البيان النبوي توحي بأن الخبر هنا جاء في سياق الرد لفعلٍ ما، أو حادثةٍ ما، أو خبر ما، قد ورد إلى رسول الله ﷺ فأراد ﷺ الجزم بالأمر فيه، وبيانه، وتوضيحه. واجتماع القسم

والنفي وافتتاح البيان النبوي بهما للتأكيد والتشويق معاً وبيان أهمية المعنى، كما أن التنكير في وجوده في هذا السياق المصحوب بالقسم، والنفي مع فائدته العموم بمعنى أي عبد نجد إيحاءً آخر له بمعنى أن المخاطب يدخل في العبودية لله، ويخضع له، وفي هذا أن خطابه ﷺ يشمل كل مؤمن بالله، مقر بالعبودية له وحده لا شريك له. وفي مقابل لفظ (عبد) في هذه الرواية نجد في الرواية الأخرى لفظ (أحدكم) وفي هذا اللفظ نجد اتصاله بالضمير (كم) فإلى جانب فائدته التعريف بالإضافة نجد أن هذا التعريف ألقى على المعنى إضاءة جديدة تتمحور في إدخال المخاطب مباشرة في دائرة المؤمنين المقصودين بالخطاب، وهذا بخلاف لو جاء لفظ (أحد) دون إضافة.

ومن اللطائف البيانية التي اجتمعت في هذا البيان النبوي وكلها ركائز لغوية لها دورها في سبك التركيب، وحسن الصياغة، وعمق الدلالة، وإيحاء المعنى فنجد الضمائر المتصلة في لفظ (أحدكم) و(لجاره) و(لنفسه)، ونجد الضمائر الغائبة في لفظ (يحب)، ونجد حرف الجر في لفظ (لجاره) و(لنفسه)، ونجد (حتى) المفيدة للغاية كما نجد (ما) الموصولة. وتتضح دلالات هذه الأبنية وأثرها عندما نحذفها من التركيب. فهي قد أعطت اللفظ إيحاءً للمعنى المقصود، وخصوصية من حيث مكانته، وأهميته، ودوره. كما أغنت السياق عامة بدلالاتها من حيث التحام الكلمات، وتعاضدها، وتآزرها، وتآلف الجمل وتقاربها، وهذه البناءات وغيرها مما تضيفه تلك اللبنات اللغوية هي التي صنعت الترابط، والتماسك في التركيب، والتعاقب بين الجمل؛ فجاء المعنى مترتباً على مبنى جمله من حيث وقوع نفي الإيمان حتى أن يحب لجاره ما يحب لنفسه: وفي لفظ (يحب) الثاني كما جاء في البيان النبوي نجد حذف ضمير المفعول به فلم يأت قول ما يحبه مثلاً ومن اللطائف في هذا الحذف أنه (قد يقصد بالحذف إبهام المعنى لتوضيحه بما يرد بعد المحذوف، وبناء الكلام على الإيضاح بعد الإبهام من المزايا البلاغية في صياغة العبارة، وأمسها بطبائع النفس، فقد فطر الله الناس على التعلق بما يجهلون مما يلوح لهم منه طرف من العلم، والانكشاف)[٣٦].

وفي الرواية التي جاءت بنفي الإيمان نجد أن عظمة ذلك النفي لا تزال تمتد حتى يبلغ الإنسان مرتبة المحبة المطلوبة لجاره. أما في الرواية التي وردت بلفظ الشرط في قوله ﷺ (من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر فليكرم جاره) وفي رواية (فليحسن إلى جاره) وفي رواية (فلا يؤذي جاره) فإن السياق تحدث عن استقرار الإيمان، وتمكنه في الإنسان وإذا وقع ذلك فسيستطيع القيام بما أمره به الرسول ﷺ من إكرام الجار، وعدم إيذائه، والإحسان إليه وهذا المعنى قام به أسلوب الشرط الذي جمع بين استقرار الإيمان، والقيام بحق الجار. ونجد أن فعل الشرط تكرر ثلاث مرات، في ثلاث روايات، وأما الجواب فقد اختلف فقد ورد قوله ﷺ (فليكرم جاره، فلا يؤذي جاره، فليحسن إلى جاره) واختلاف هذه الأفعال في اللفظ أفاد تعدد معناها، وتنوعه، واتساع مجالاته، وأما من حيث المعنى فهي تجتمع في القيام بحسن الجوار .

نتائج البحث والتوصيات :

١- تقدم النفي والقسم في البيان النبوي تنبيه للمخاطب، وبيان لأهمية ما سيذكره ﷺ من معانٍ.

٢- جاء أسلوب الشرط المتضمن لجملتيه في الفعل، والجزاء ليحتضن المعنى بين طرفيه فيحرص المخاطب أن يكون في تلك الحالة الشرطية من الإيمان بالله، واليوم الآخر .

٣- اجتمع القرآن الكريم، والسنة النبوية في الوصية بالجار، وهذا يبين أهمية هذه العلاقة، ودورها في حياة الفرد، والمجتمع .

٤- جمعت الأحاديث بين الجزاء الدنيوي، والأخروي فالمعاملة الحسنة، وبذل الخير في القول، والعمل يورث الطمأنينة، والراحة، والأمن في الدنيا، والفوز برضى الله وجنته في الآخرة .

٥- الأحاديث يجتمع فيها معنى الإحسان إلى الجار ولكن سياقاتها جاءت متنوعة، وفي ذلك زيادة بيان لأهمية معاملة الجار، وبيان أن الحديث النبوي ورد في مقامات مختلفة، وأحوال متباينة فجاءت سياقاته متلائمة مع تعدد تلك المقامات، والأحوال.

٦- الدراسة البلاغية للأساليب المتنوعة في البيان النبوي تكشف عن ثرائه، واكتنازه نفائس المعاني، وفرائد الألفاظ ولا يزال هذا البيان منبعاً ثرّاً يستخرج منه الدارسون الدرر في اللفظ والمعنى والسياق والخطاب.

٧- التوجيهات النبوية في أحاديث بيان حق الجار، والعناية به ركيزة اجتماعية عظيمة وتمثل لبنة من لبنات بناء المجتمع الإسلامي، وقوته، وتماسكه وهي لن تزال تجود بعطاء بناءاتها اللغوية، وتوجيهاتها النبوية ومعانيها العظيمة، وتحتاج إلى من يخاطب النص ويستخرج منه دُرره، ويعيش بين جمالياته اللفظية، والمعنوية فيأتي منها بأجمل الصور البيانية، وبأحكم التراكيب في الجمل، وفي السياق، فالنص في الحديث النبوي تعاقبت عليه دراسات متعددة ولن يزال يؤتي ثماره لأنه من عند مَنْ لا { يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} [النجم ٣-٤] .

الخاتمة

نجد العناية بحقوق الجار بمختلف أنواعها المادية، والمعنوية قد تمثلت في الأمر بالإحسان إليه في القرآن الكريم، ورعاية حقه، وأداء واجباته في السنة النبوية. وهذه الرعاية ليست جزئية، وإنما هي حلقة مكملة لكيان المجتمع المسلم، وتماسكه، وأمانه، واستقراره. وأداء حق الجار، والإحسان إليه من كمال الإيمان. وفي القيام بحق الجار طاعة لله، ولرسوله ﷺ قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧١].

وفي أداء حقوق الجار، والالتزام بها تضامن المجتمع، وتعاضده في سبيل تحقيق الخير، ودفع الشر عن الفرد خاصة، وعن المجتمع المسلم عامة. وإذا تحققت الروابط الصغرى بين الفرد ومَنْ يحيط به، تحققت الروابط الكبرى بين المجتمع، والأمة بأكملها.

Abstract

Hadiths of the Right of the Neighbor Study Rhetorical, Analytical

By Jawahar Zoubi Mohammed Al Zahrani

The prophetic Hadith of the outpouring of a statement, eloquence, fluency, guidance, raising souls, and minds. It is the leader after the Holy Quran to abundance, and righteousness.

The attention of this research was what the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) said about the neighbor's right, in the book of faith from the Sahih Muslim.

The approach followed by this research gather between inductive method, and rhetorical analysis, in order the study can through gathering multiple narrations to consider their methods, and the way of their formation, building its syntax, and contexts, to take advantage in detection of illuminations statements and rhetorical subtleties, which his words were bestowed Peace and blessing of Allah be upon him in its structure and its meaning. Every prophetic statement had its own style in terms of informing, caring, and receiving the news which is clearly evident in the amulets of his ammunition of his words peace and blessings of Allah be upon him, in the sequence of his thoughts, building its meanings, in the occasion of the word meaning, in the multiplicity of narrations of one hadith, which is addressed by the rhetoric of so-called each situation has its speech. This rhetorical structure is a fundamental structure of the prophetic statement for the believers he peace and blessings of Allah be upon him is full of pity, kind, and merciful."At-Taubah128".

الهوامش

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج حقق أصوله الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة ، بيروت – لبنان . ط١٠ : ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م . ج٢، ٢٠٧

(٢) لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري دار صادر، بيروت. ط٣، ٢٠٠٤، ج ٢٢٨/٥ / ٢٢٩ .

(٣) التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه. بسيوني عبدالفتاح فيود ، مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م ، ٨٤/٧٣ بتصرف .

(٤) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة ، القاهرة، ط٩، ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م ، ٤٠٠ .

(٥) المصدر السابق ، ٤٠٣، ٤٠٤ .

(٦) خصائص التراكيب ، أبو موسى ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٧) دلالات التراكيب دراسة بلاغية محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة. القاهرة، ط٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ،١٨٨/١٨٧.

(٨) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٥٧٨-٦٥٦هـ حققه. يوسف علي بديوي وآخرون، دار ابن كثير دمشق – بيروت. ط٢، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م . ج٢٢٨/١ .

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢هـ، عنى بإخراجها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار السلام – الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م .

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر. الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ٥٤٤-٦٠٦هـ ، ت: الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م .
(١١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ج٥٤٤/١٠ .
(١٢) الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة، ٣٤١، ٣٤٢ .
(١٣) التكرار في الحديث النبوي الشريف. أميمة بدر الدين. مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الأول + الثاني ٢٠١٠، ٧٦، ٧٧.
(١٤) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ج٢٧، ٢٣٠ .
(١٥) التشويق في الحديث النبوي، بسيوني فيود . ٤٥ .
(١٦) أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغةا لحديث الشريف جمله دود عبدالجليل عياش، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٠ م، ص١٧ .
(١٧) البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية. عزة محمد جدوع، مكتبة الرشد، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م . ٣٧٠ .
(١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني. ج٥٤٧/١ .
(١٩) تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي. محمود عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م ، ١١٥ .
(٢٠) البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، عزه جدوع. ٣٥٢ .
(٢١) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين. عوده خليل أبو عوده ، دار عمار، عَمَّان، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م. ٥٦٤ .
(٢٢) صحيح مسلم ٢٠٨ .
(٢٣) المصدر السابق ٢٠٩ .
(٢٤) المصدر السابق ٢١٠ .
(٢٥) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج شرح صحيح بن الحجاج خليل ممون شيخا، دار المعرفة، بيروت، لبنان ج ٢١٠/٢ .
(٢٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري . لابن حجر العسقلاني. ج١، ١٦٧ .
(٢٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٥٤٢/١ .
(٢٨) بناء الجملة في الحديث النبوي في الصحيحين، عوده خليل ، ٢٩٥ .
(٢٩) صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، حقق أصوله الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة، بيروت – لبنان . ج٢، ٢٠٦ .
(٣٠) المصدر السابق ٢٠٧ .
(٣١) التحفيز في البيان النبوي، سعيد طيب المطرفي . ١٦ .
(٣٢) المصدر السابق، ٢١ .
(٣٣) أثر ظاهرة التنكير والتعريف في السياق اللغوي. محمود فؤاد محمود عبدالله، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٩٩٩م، ١٧.
(٣٤) صحيح مسلم. ج٢، ص٢٠٦ .
(٣٥) الجنى الداني في حروف المعاني. الحسن بن قاسم المرادي، ت . فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ٥٤٣/٥٤٢ .
(٣٦) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. محمد أبو موسى. مكتبة وهبة القاهرة، ٣٨٥ .

المراجع

١- القرآن الكريم .
٢- أثر ظاهرة التنكير والتعريف في السياق اللغوي. محمود فؤاد محمود عبدالله، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٩٩٩م.
٣- أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغةا لحديث الشريف جمله دود عبدالجليل عياش، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٠ م.
٤- البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية. عزة محمد جدوع، مكتبة الرشد، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.
٥- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين. عوده خليل أبو عوده ، دار عمار، عَمَّان، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٦- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٧- التحفيز في البيان النبوي، سعيد طيب المطرفي.
٨- تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي. محمود عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م .
٩- التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه. بسيوني عبدالفتاح فيود ، مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
١٠- التكرار في الحديث النبوي الشريف. أميمة بدر الدين. مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الأول + الثاني ٢٠١٠، ٧٦، ٧٧.
١١- الجنى الداني في حروف المعاني. الحسن بن قاسم المرادي، ت . فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٢- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة ، القاهرة، ط٩، ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.
١٣- دلالات التراكيب دراسة بلاغية محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة. القاهرة، ط٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٤- الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.
١٥- صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج حقق أصوله الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة ، بيروت – لبنان . ط١٠ : ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م .
١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢هـ، عنى بإخراجها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار السلام – الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ -٢٠٠٠م .
١٧- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري دار صادر، بيروت. ط٣، ٢٠٠٤.
١٨- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٥٧٨-٦٥٦هـ حققه: يوسف علي بديوي وآخرون، دار ابن كثير دمشق – بيروت. ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٩- النهاية في غريب الحديث والأثر. الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ٥٤٤-٦٠٦هـ ، ت: الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م .